لمعات المفاهيم القرآنية في شعر شوقي

Reflections of Quranic themes in the poetry of Ahmad Shoqi

دكتور شمس الحسين ظهير[i] دكتورة سلمى شاهدة[ii]

Abstract

In modern era Ahmad Shoqi has a distinctive place for his milestone contribution towards Arabic literature. This credit goes to him because he has touched the every side of the literature.His services have received appreciation all over the world for his successfulness in interlinking the ancient and the modern arts of literature. He has given a new shape and structure to literary arts, but above all, his Quranic style of narration is an unmatched and exceptional approach. In this paper, the very side of the poetry of Ahmad Shoqi has been elucidated in a scholarly way.

Key words: *Ahmad Shoqi, distinctive place, interlinking the arts, Quranic style, exceptional approach*

تمهيد المقال

علماً بكون القرآن مأخذ العلوم القديمة والجديدة وما زال ولم يزل الناس يسألون الله زيادة في علومهم القرآنية بحيث أن يكون القرآن تسكيناً لصدورهم وتوطيداً لمعارفهم الدينية وتنويراً لخفاياهم الطبيعية. وأكب المسلمون في بدايات الإسلام على كلمات القرآن الغريبة المستخدمة فيها وعلى معارفه وتفسيره، وما انفكوا يواظبون على تحفيظ أنواره في قلوبهم وضبط مداركه في أذهانهم، إذ علّم القرآن ما لم يكن موجوداً من قبل وما حدث وما سيقع بعدُ.وطبعاً تأثرت طبائع أهل الإسلام بما علّمهم القرآن من اللفظ والمعنى والتفسير والعلوم والفنون جميعاً، وبالطبع توسعت دائرة اللغة العربية ومحتوياتها بأنماط جديدة للتعبير عما يريده إنسان.

[i] الأستاذ المساعد، بقسم الدراسات الإسلامية، جامعة عبد الولي خان، مردان

[ii] الأستاذة المساعدة، بقسم اللغة العربية، الجامعة الوطنية للغات الحديثة، إسلام آباد

ثم تصدّرت جماعات الناس إلى حيّز الوجود يتفكّرون بفكر الإسلام وتتكلم بمنشأه لأن اللغة التي نشأت ورسخت في قلوبهم قد أدتهم إلى حفظ المعارفالمنتقلة إليهم بحيث أجروا كلمات تلك المعارف على ألسنتهم واستخدموا معانيها في مصنفاتهم. ثم لم يتخلف شعراؤ العرب عن هذه الجماعات الناشئة خدمة للقرآن ومعارفه، فساهم الشعراء في حفظ اللغة وتبقية مفرداتها بكينونة أشعارهم تسجيلاً لمفاخرهم وتصويرا لمآثرهم وتصدية لمفاكرهم.وحيثما كانوا فعُدّ شعرهم ديوان العرب في الاستدلال بأشعارهم لتفسير آيات القرآن الكريم.وقد وجدنا كثيراً من النتاجات الشعرية متأثرة بأسس القرآن والسنة لغةً وأسلوباً ومضموناً، وهي ليست مختصة بعصور الازدهار الأدبي فقط بل شعراء العرب في أي عصر كانوا هم فيه سواء، وشارك القدماء والمحدثون فيه جميعاً فأخرجوا نتاجات شعرية فيه أثر القرآن لفظاً ومعنى وأسلوباً.

ويدلّنا هذا المقال أيضا على تلك التأثيرات الواقعة في أشعار العرب المتفوقين على أقرانهم في العصور المتقدمة بالإجمال وشعر شوقي المعاصر بالتفصيل. ووزّعنا المقال حسب تقديم جزء الإيمان أو الأحكام الشرعية: مثلاً قدمنا ذكر الصلاة لديه على ذكر الحج لتقديم الأول على الثاني وضوحاً بين مباحث الشريعة المطهرة.

أوّلاً: ذكر مولد الرسول صلى الله عليه وسلم

إن تناول الرجل لمعاظم شيء من دلالات عظيمة على كونه منفعلا بأسرار وحقائق ذلك الشيء، ثم إذهابه للقراء إلى أقصى الغايات فيه تجعل الروعة اللفظية الحسية والعقلية كليهما من أجزائه الهامة. ونفس العمل نراه لدى سيد الشعراء المعاصرين: أحمد شوقي حيث هو يمدح سيد المرسلين – عليه السلام – ويفرح بمولده فيقول في همزيته:

ولد الهدى فالكائنات ضياء وفم الزمان تبسّم وثناء

الروح والملك الملائك حوله للدين والدنياء به بشراء[1]

قد شبه الشاعر نبينا عليه السلام بالنور الذي يستضاء به في تزويق المكان ويهتدى به في تعيين السبيل المستقيم كما يقول الله الذي عز شأنه: "قد جاءكم من الله نورٌ وكتاب مبين[2].

إن تأثر الشاعر بالآية وبما شابهتها واضح. كما هو يشيد بمرتبته عليه السلام بين جماعة الأنبياء عليهم السلام، فيقول:

فاق النبيين في خلق وفي خُلق ولم يدانوه في علم ولا كرم

ويتضح استقاء الشاعر في هذا المعنى من قول الله عز وجل هذا:

"إنك لعلى خلق عظيم[3].

وقوله:

تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ[4]

وقد جعل الله عدد الشهور اثني عشر منذ خلق السموات والأرض، وجعل منها أبعةً حرُماً، فقال:

إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ[5]

وقال:

فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ[6]

فشاعرنا يذهب نفس المذهب حينما طفق أن يتمتع بذكر الحبيب عليه السلام بشكل الانفعال بنظم القرآن، وهو قد لاحظ كلماته إبان المديح النبوي فهو يقول:

ريم على القاع بين البان والحرم أحل سفك دمي في أشهر الحُرُم

رمي القضاء بعيني جؤذر أسداً يا ساكن القاع،أدرك ساكن الأجم[7]

قد تبين من البيتين السابقين أن الشاعر يرى الحرمة لأشهر الحرم التي قد جعل فيه القتال حراماً، ويتعجب من حبيبه بأنه هل أباح سفك دمه في أشهر الحرم ؟ يعنى هذه حرام أن يسفك دم أحد في تلك الشهور.

ثانياً: ذكر مباني الإسلام

لقد جعل شوقي في شعره سهما كبيرا لمباني الإسلام كما تناول مولد نبينا عليه السلام. وكان صوت وصيت تلك المباني لديه أعلى الأصوات على الكل، ومن الدليل عليه إفراده في قصائده بالمبينيات الإسلامية. وهو يقول بأهمية الصلاة:

خفافا إلى الداعي سراعاً كأنما من الحرب داع للصلاة مثوّب[8]

قد بدت لنا أهمية الصلاة من المقال لشوقي المتقدم، وهي من اطّلاعه بكل ما يدعو إليه الإسلام لرضا الله.

مقاله في الصوم والزكاة

ما نال شوقي من ذكر الصوم والزكاة اللتين يبتني عليهما بناء الإسلام، وهو ما زال أنشد بهاتين الأساسين القويين فقال:

وصلّ صلاة من يرجو ويخشى وقبل الصوم صُم عن كل فحشا[9]

إن ذهن القارئ يتبادر إلى ما أراد الله بهما حينما يقرأ تلك الأنشودة. وليتبين له أن مراد الله بإقامة الصلاة والصوم قد تناوله الشاعر. كما قال من أعظم شأنه:

اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ[10]

وهذا واضح عند صاحب الشريعة أن المقصد من الإتيان بالصلاة والصوم ليست الممارسة البدنة فقط بل وأن يتعلم النفس كيف يختار السكوت والصمت عن كل المعاصي. وهو المعنى نجده في هذا الحديث النبوي صلى الله عليه وسلم:

مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِوَالعَمَلَ بِهِ،فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌفِي أَنْيَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ[11]

ويغور شاعرنا شوقي في بحر المقاصد الدينية ويفكّر فيها فيفهمها حق فهمها وينظرها بنظر أقصى نظر، ويحذر الأغنياء من الظلم على الفقراء في شهر رمضان ويصّور خلجان نفسه الشديد بالبخل ويدعو إلى إنفاق المال. وكذا يأتينا فكر ناضج من قبله، يقول:

عجبت لمعشر صلّوا وصاموا	عواهر خِشيةً وتقى كذابا
وتلفيهم حيال المال صمّا	إذا داعي الزكاة بهم أهابا
لقد كتموا نصيب الله منه	كأن الله لم يُحص النصابا
ومن يعدل بحب الله شيئاً	كحب المال ضلّ هوًى وخابا
أراد الله بالفقراء برّاً	وبالإيتام حبّا وارتبابا

عندما نزن هذه الأبيات بالآية القرأنية هذه:

وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا[12]

فيظهر لنا المشهد أن لشوقي حظاً وافراً من دراسة كاملة لمطالب الحياة في إطار الإسلام. ويقنعنا الأبيات على كونه متتوج الرأس بتاج الإمرة لجميع شعراء عصره.

إشادته بمناسبة الحجّ

كما تحدث أحمد شوقي عن أداء الصلاة والصوم والمقاصد الشرعية منها، فكذا رسم عديداً من الصوم الفنية عندما أرسل تحيته إلى الخديوي توفيق بمناسبة حجّه الذي أدّاه، وقال:

إلى عرفات الله يا خير زائر عليك سلام الله في عرفات
على كل أفقٍ بالحجاز ملائك تزُفّ تحايا الله والبركات
وفي الكعبة الغّراء ركن مرحّب بكعبة قصّاد، وركن عفاة
وما سكب الميزابُ ماءً، وإنما أفاض عليك الأجر والرحماتُ
وزمزم تجري بين عينيك أعينًا من الكوثر المعسول منفجرات[13]

لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ[14]

نلاحظ أن شوقياً يعبر عما شاهده أو قرأه عن القرآن بنمط كيفما راقت له بين جمع العبادة والقيادة في موضع واحد، فهنّأ الخليفة بالحجّ وذهب به إلى أن نجاحه ما كانت إلا نتيجةً طبيعيَّة لتمسكه بالشعائر؛ بل إن تبني قضايا الدين والدفاع عنها تتصوّر في قدرة الخليفة على أداء هذه الشعائر والدفاع عن الإسلام. وهو المعنى نستخرجه عن القرآن في سورة الحجّ حيث يقول الله عزّ وجلّ:

الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ[15]

ثالثاً: إشارة إلى الحوادث الواردة في القرآن الكريم

إن شوقيا قد تناول عدة الحوادث الواردة في قصص القرآن الكريم، فشير لطيفة إلى المعراج النبوي في موضع وآخر يقصّ علينا قصة الهجرة الشريفة، وها هو يقول في مديح النبي – عليه السلام–: قد ذهب به الله تعالى إلى المسجد الأقصى الذي بارك الله حوله فهو ينشد:

أسرى بك الله ليلاً إذ ملائكُهُ والرسل في المسجد الأقصى على قدمِ
لما خطرت به التفُّوا بسيِّدهم كالشهب بالبدر أو كالجند بالعلم[16]

ولا شك أن البيت الثاني هو من أمثل الأشعار في بيان المعنى ووضوحه المراد، إذ كفى البيت للقصة الساردة في المعراج واهتمام الرسل عليهم السلام على نبينا عليه السلام معاً. وهو واضح لمن يتفكّر فيه يسيراً بدون أي صعوبة. ومع هذا دلالة المعنى المأتية بها عن الآية "سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى"[17] متلألأ كغرة الشرق.

الهجرة

ومن أبلغ المناسبات الإسلامية في شعره هي مناسبة الهجرة، قد استطال فيه الشاعر عن شجاعة الرسول عليه السلام واصطحابه عليه السلام لأبي بكر مع سرد القصة التعبة بدخولهما إلى الغار، يقول:

هَاجَرَ مِنْ أُمِّ الْقُرَى مَأْذُونَا وَمَا دَرَى أَوْ سَمِعَ المؤْذُونَا

في ليلة للختل كانت موعدا قد نصبتها شَرَكًا أيدي العِدَا

ثم يقول:

وسار في ركابه الصديق وفي البلاء يعرف الصديق

ومثل هذا القول يقول شاعر الأفاغنة: عبد الرحمان بابا:

كله كله دَ غمونو باران خه وي خبل بردي بكس معلوم شى عبد الرحمانه

معناه: قد ينتفع الإنسان بتقاطر الهموم والغهوم، لأنه يتميز بها الصديق الحميم من الصديق اللئيم الغاشّ. وهي الهموم التي قد اختار الله أبابكر بها ليصطحب الرسول عليه السلام.

وهذا الكلام يلائم ما أتى به الله في كلامه حيث قال:

إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا [18]

وهذه اللمعات القرآنية في شعره تعود إلى تضحية من قبله جراءً للعقيدة والبذل والفداء، وهي الخصائص التي تثير النفس لترتبط بالمعالى الدينية والمطالب الأصلية المرضية من خلق الكون.

رابعاً: الدعوة إلى توحيد كلمة المسلمين

لا شك أن الله قد بيّن بلسان كلامه أنه يريد كون كلمة عباده موحّدة مضبوطة بالعمل والعقيدة الصحيحة والاتّحاد الملّي، لتصير أمور حياتهم مورقة مثمرة، ولتشتدّ أعضادهم في ما بينهم، كما منّ الله عزّ شأنه على العرب أنهم كانوا متفشّلين قبل إتيان الإسلام. وهو الأمر الذي أحسّه شاعرنا الأمير بأمسّ حاجة إلى وضع الناس على أوتار الوحدة والائتلاف والجمع. وهو يجعل للأمر حظا وافرا في شعره، وهو يقول مثلاً:

وحماها غُرٌّ كرَامٌ أَشدَّاءُ على الخصْم بينهُمْ رحماءُ

والمعنى مأخوذة من الآية القرآنية هذه:

مُحَمَّدٌرَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُعَلَى الْكُفَّارِرُحَمَاءُبَيْنَهُمْ[19]

مضيفاً إلى ذلك لا يغفل شوقي عن المدائح النبوية حتى لغطت المدائح فجوة واسعة في ساحة البيان. وكان الغرض من تقديم حياة الرسول صلى الله عليه بلسان الشعر هو جمع الخصال الدنيوية والأخرية معاً، ولذا لم تركّزت المدائح على الجانب الديني وحده، وإنما تناول الجانب السياسي بصورة أن حياته عليه السلام قد مثّلت لنا الدنيا والدين، لا يسع الميدان لاستقصائه بتمامه بل أحسب أن الإشارة تكفي لها في ذا الموضع، إذ شخصيته عليه السلام قدوة مرضية حسنة لا يجوز الالتفات منه إلى غيره.

خامساً: إقامة الخلافة الإسلامية

من أهم الأمور عند الشارع هو إقامة الحدود على من استحقه، والإقامة تحتاج إلى قوة الخليفة ما يفتقر إلى الخلافة الإسلامية الصحيحة المتمكّنة للصالحين من عباد الله. فكانت الخلافة أعظم مكاناً وأهم ضرورة عند شوقي لما يتّضح من أناشيده بمعاظم مقتضياتها مثل الخليفة القائم بحدود الله وكينونته عروة لاتحاد المسلمين ومقاصدهم وغلبتهم على الجميع من الأمم غيرهم. ومن أمثل الدلالات على هذه المهمة عنده هو إشادته بالأمير عبد الحميد حيث قال:

وَإِنَّ أَميرَ المؤمِنينَ لَوابِلٌ مِنَ الغَوثِ مُنهَلٌّ عَلى الخَلقِ صَيِّبُ[20]

ويتراءى الشاعر آخذاً هذا المعنى من قول الله عزّ وجل هذا:

أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ[21]

ومن ثم يجعل شوقي لشعره من القرآن ينابيع خالصة غير متغيرة فيستمدّ منه معاني لقوافيه وصور لبدائع أخيلية التي يخيطه في سلك الأوزان المسجعة المقفاة. وما كانت هذه فحسب بل ما تصبح المستقاة الأصلية عنده في كل أوزان شعره إلا القرآن وآياته المختلفة بأغراضه العديدة.

سادساً: التأسف على الماضي الفاخرة

هناك نوع للشعر العربي لطيف يمارس فيه الشعراء المتأخرون بمسابقة المقدمين منهم فقد يسبقهم وقد يتخلّفهم. وكانت من عادات شوقي أنه اجتهد أن يقرض شعره باختلاط فكري مع أفكار الشعراء المتقدمين عليه، فأخذ يطرّب شعره على دربهم فما لبث أن تحوّل وعارضهم بما راق له فيما تقاولوه. وأكثر ما يأخذ المعاني أخذها السابق منه أو أشار إليه ببديع الإشارات مثل التأسف على الماضي الفاخرة الزاهرة المترخرفة عند كباره أو ذكر المقاساة المضطربة التي يعانيها في منفاه. ومع ذلك لم يذهب عنه أثر القرآن الكريم وآيات الزاخرة بالمعاني الجديدة عند كل قارئ يقرأه.

هذا شوقي يتأثر بالغاً بسينية البحتري التي أثّرت وخلّدت كسرى وإيوانه بين أقاربه الشعراء جلي الأثر وظاهر الاتسام. فالبحترى قد شرع في سينيته بالتبرم من العيش وشكوى متاعب الحياة لكنه لم ينزل من النزعة الفردية. أما شوقي فصارت النزعة لديه بعد المنفى اجتماعية يتغنى بما يحتاج إليه المجتمع وتفتقر إليه الأمة، فغنى بقصور الحمراء بالأندلس بقطعة تسيل بالدماء مكان الدمع حناناً إلى وطنه مصر، فهو يقول:

اختِلافُ النَهارِ وَاللَيلِ يُنسي اذكُرا لِي الصِّبا وَأَيّامَ أُنسِي
وَصِفا لي مُلاوَةً مِن شَبابٍ صُوِّرَت مِن تَصَوُّراتٍ وَمَسّ
عَصَفَت كَالصِبا اللَعوبِ وَمَرَّت سِنَةً حُلوَةً وَلَذَّةُ خَلسِ
وَسَلا مِصرَ هَل سَلا القَلبُ عَنها أَو أَسا جُرحَهُ الزَمانُ المؤَسِّي
مُستَطارٌ إِذا البَواخِرُ رَنَّت أَوَّلَ اللَيلِ أَو عَوَت بَعدَ جَرسِ[22]

يظهر من كلام أمير الشعراء أن النفي من بلاد الرجل أشد عليه عذابا وألماً، وهذه الأحاسيس حول موطن رجل طبيعية عنده لا توخذ من إنسان آخر، بل يتوفر عند كل واحد على حدٍّ سواء هذا الحنين إلى موطنه عندما ينفى منه أو يسافر، ونفس المعنى نجده في القرآن الكريم عندما يذكر الله عزّ وجل إخراج الرجال من ديارهم فيشبّه مغادرة الإنسان بمفارقة الروح للجسد كما قال أصدق القائلين:

"ولا أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم إو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم[23]."

فقد جمع الله سبحانه وتعالى بين الخروج من الديار ومفارقتها وقتل النفس ومفارقة الروح للجسد، فلا شيء هناك أشد ألماً للإنسان من قتلهلنفسه. فثبت من سياق النص القرآني أن مفارقة الديار والأوطان تشبه مفارقة الروح للجسد في المشقة والتأذي.

وقدأيّد بعض المفسرين هذا المعنى حيث يقول: يسوِّي الحق تعالى بين الأمر بقتل النفس والأمر بالإخراج من الديار، فالقتل خروج الروح من الجسد بقوة قسرية غير الموت الطبيعي، والإخراج من الديار هو الترحيل القسري بقوة قسرية خارج الأرض التي يعيش فيها الإنسان، إذن فعملية القتل قرينة لعملية الإخراج من الديار فساعة يُقتل الإنسان فهو يتألم، وساعة يخرج من وطنه فهو يتألم، وكلاهما شاق على الإنسان.

فأحمد شوقي يجعل حبّه لبلاده أشد عليه من أن تنال منه الليالي، ويتصورّ التأذي في هوى مصر ألمّ من شيء آخر، فالماضى في شعره يُصوِّر مدى التياعه وألمه الدفين، والألفاظ القويَّة التي استخدمها شوقي، هي في حقيقتها تعبير مباشر وفعَّال عمَّا تعانيه نفسه.

سابعاً: تناول الأمور الدينية المشتتة

إضافةً بما سبق لقد عدّ شوقي أشياء غيرها إلى شعره ما تتعلق بأمور الدين الحنيف العديدة، وهي تتمكن مكاناً واسعاً في أكناف قريضه، نحن بصدد بيان بعضها بالاختصار في ما يلي.

يتناول اسماء العرش واللوح المحفوظ والسدر وصاحب منتهى السدر عليه السلام

هو في صدد مديح النبي صلى الله عليه وسلم يذكر مولده عليه السلام في ألفاظ طريفة وكلمات نادرة فيتاول كل تلك الأسماء:

وَالعَرشُ يَزهو وَالحَظيرَةُ تَزدَهي وَالمنتَهي وَالسِدرَةُ العَصماءُ
وَحَديقَةُ الفُرقانِ ضاحِكَةُ الرُبا بِالتُرجُمانِ شَذِيَّةٌ غَنَّاءُ
وَالوَحيُ يَقطُرُ سَلسَلاً مِن سَلسَلٍ وَاللَّوحُ وَالقَلَمُ البَديعُ رُواءُ
نُظِمَت أَسامي الرُسلِ فَهْيَ صَحيفَةٌ في اللَّوحِ وَاسمُ مُحَمَّدٍ طُغَراءُ
يا خَيرَ مَن جاءَ الوُجودَ تَحِيَّةً مِن مُرسَلينَ إلى الهُدى بِكَ جاءُوا[24]

يصل شوقي في هذه الأبيات إلى أقصى غايات التأثر بمطالب القرآن الكريم وهو تأثر يقل عند أكثر الشعراء ويظهر في شعره على ما يحكم به ببالغة التأثير في كلامه. فالقرآن أكثر من ذكر اسم محمد (عليه السلام) كما في الآية هذه:

مُحَمَّدٌرَسُول اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُعَلَى الْكُفَّارِرُحَمَاءُبَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًامِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا."[25]

وأما ذكر العرش ففي الآية تلك:

"وَهُوَالْغَفُورُالْوَدُودُ،ذُوالْعَرْشِ الْمَجِيدُ"[26]

وفي الآية:

رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُوالْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُمِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَيَوْمَ التَّلَاق[27]

وكلمة اللوح المحفوظ في الآية:

بَلْ هُوَقُرْآنٌ مَجِيدٌ،فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ[28]

بيان الجنة والرضوان والنار

هذه الكلمات أكثر وجود في الفرقان بحيث أن أعمال رجل إما تتسبّب لفوزه نجاته وإما تذهب إلى المهاوي والهلاك، ولذا دعى الله عزّ وجلّ عباده إلى التنافس في حصول الجنة والاتقاء من النار، فكثرت الاسماء في كلامه الذي هو قانون لحياتهم بالفوز وممرّ فوق الجسر على النار.

فلو عَلِمَ الجمْع ممن مضى تنحَّى له الجمع حتى عبرْ
إلى جنَّةٍ خُلقتْ للكريم ومن عرف الله أو مَن قدرْ[29]

هذان البيتان يعيّنان لنا أن الجنة خُلقت للكرام إزاءً بالنار الموعودة للمعاندة الكفرة الفجرة، وهذا المعنى مذكورة في قوله تعالى:

وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِين

وكلمة رضوان مستوحاة من قوله تعالى:

قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ[30]

وقد ورد مشهد الجنَّة عند شوقي كثيرًا في فنون مختلفة مثل الرثاء والمدح والوصف. إحدى تلك المواضع قوله في مديح عمر لطفي العالم القانوني:

قفوا بالقبور نسائلْ عمر متى كانت الأرض مثوَى القمرْ؟
وهل قام (رضوان) من خلفها يُلاقي الرضيَّ النقيَّ الأبرّ؟[31]

يبدو لنا من الأمثال السابقة أنه اهتمّ بمصطلحات القرآن الجديدة، فنشر طيب المصطلحات في سلوك قريضة في كل نوع منها.

ثامناً: خلاصة المقال

قد لاحظنا كل تلك النماذج من خلال الشوقيات بكون جزور القرآن قد تأسست و غرست في قلب من ينتمي إلى الإسلام حتى يغلب منه على جسده يحتوي بقلبه ويحيط بأحاسيسه الدافقة وشعوره الفياض. ومن ثم يُصبح المصدر القرآني ينبوعًا فيَّاضًا يستمدُّ منه شوقي ألفاظه وصوره ومعانيه في جميع أغراضه حتى تأثر شعره بأنماط القرآن الكريم متناً وشرحاً ولفظاً ومعنىً في مقاصده المتنوعة بدءاً بأساسة القيم ونهايةً بأحكام الشريعة الإسلامية من الصلاة والصوم والزكاة والحج والدعوة إلى توحيد الكلمة بين شتات المسلمين بتزيين خلقهم حسب ما دعا إليه الرسول صلى الله عليه وسلم. وهي المعاني تزيد في كلامه ضياءً ورونقاً وفي معانيه بهجةً ورواءً.

الهواشي والخوامش

1 أحمد شوقي، الشوقيات1: 41،دارالفكر، بيروت، لبنان،1999ء
2 سورة المائدة 5: 15
3 سورة القلم 68: 04
4 سورة البقرة 2: 253
5 سورة التوبة 09: 36
6 نفس السورة: 05
7 الشوقيات1: 259
8 نفس المصدر1: 33
9 نفس المصدر3: 613
10 سورة العنكبوت29: 45
11 الإمام البخاري، صحيح البخاري3: 26، الحديث1903
12 سورة النساء4: 6
13 الشوقيات1: 135
14 سورة البقرة2: 198

15 سورة الحجّ18: 38
16 الشوقيات1: 265
17 سورة الإسراء 17: 01
18 سورة التوبة 09: 40
19 سورة الفتح 48: 29
20 الشوقيات، ج1، ص35
21 سورة البقرة 2: 19
22 نفس المصدر2: 429-430
23 سورة النساء4: 66
24 الشوقيات1: 2
25 سورة الفتح 48: 29
26 سورة البروج85: 14-15
27 سورة الغافر40: 15
28 سورة البروج 85: 21-22
29 الشوقيات2: 424
30 سورة آلعمران 3: 15
31 الشوقيات2: 424